رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 150 -179
tavsanciksedri@hotmail.com

ركائز السلطة الروحية في المجتمع –المعتقدات الشعبية- نموذجا

- رشيدة شدري معمر
- جامعة البويرة
- tavsanciksedri@hotmail.com

تاريخ الارسال : 2018/05/07 تاريخ القبول : 2018-06-04

الملخص: عرفت الجزائر مطلع القرن 16م بروز السلطة الروحية، وهذا نتيجة الفراغ السياسي الذي شهدته المنطقة ، لذلك تسلمت السلطة الروحية زمام الأمور وحلت محل السلطة السياسية في تسيير المجتمع في جميع المجالات، سواء كانت دينية، تعليمية، إصلاحية، وجهادية وهو ما جعلها تكتسب مكانة ونفوذا كبيرين في الأوساط الشعبية، وقد ساعدتها مجموعة من العوامل على ترسيخ مكانتها ونفوذها في المجتمع، مثل مسألة الولاية والبركة الوراثية والمكتسبة والتي توارثها أقطابها لأجيال، إضافة إلى مجموعة من المعتقدات الشعبية في السلطة الروحية، التي انتشرت بين الناس الذين آمنوا بها وصدقوها. كالاعتقاد في أن الولي يتمتع بهبة ربانية تدعى"البركة"، والتي بفضلها يعم الخير على كل من يحتمي بالولي، لذلك نجدهم يزورون زواياهم وأضرحتهم للتبرك بهم وأخذ بعض الأثر منهم، كما كان يعتقد أن دعاء الولي مستجاب وله قدرة على علاج المرضى، إضافة إلى الاعتقاد أن له كرامات كمعرفة الغيب، وقدرته على حماية الأشخاص وحتى المدن والقبائل، ويمكنه الإتيان بالخوارق كالمشي فوق الماء وقطع مسافات في وقت قصير....

الكلمات المفتاحية: السلطة الروحية، المعتقدات، المرابط/ الولي، الكرامة

Les fondements du l'autorité spirituel dans la société , les croyances populaires

Résumé: Au début du 16ème siècle, L'Algérie a connu la propagation du pouvoir spirituel engendré par un vide politique. Cette autorité spirituelle a pris le relais et a remplacé le pouvoir politique dans la conduite de la société dans tous les domaines, sur le plan religieux, éducatifs, réformiste, résistance (djihad). Cette présence à tous les niveaux lui a permis d'avoir une grande importance et acquérir une influence auprès des masses populaires, ce pouvoir a été aider par un certain nombre de facteurs pour consolider sa position et son influence dans la société, Tels que la "ouilaya" et la bénédiction héréditaire et acquise, qui sont hérités par ses pôles depuis des générations, En plus de certaine nombre de croyances populaires dans le pouvoir spirituel, répandues dans les milieux populaires, comme la croyance que le ouali a un don divin appelé "bénédiction" (baraka),et grâce à elle, lui permet d'assurer le bien et le bonheur à tous. C'est pour ça qu'on trouve les gens rendent visite à leurs zaouias et leurs tombeaux, pour être béni. On croyant aussi que la prière (doua) du ouali est exaucée, et il a le pouvoir de guérir les malades et la connaissance de l'invisible. On pense également qu'il à le pouvoir de réaliser des miracles comme marcher sur l'eau ou faire de longues distances en de courtes durées.
Mots clé : autorité spirituel, croyances, marabout/ ouali, bénédiction (karama).

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 150 -179
tavsanciksedri@hotmail.com

مقدمة:

مع مطلع القرن 16م، شهدت الجزائر بروز السلطة الروحية خاصة فئة المرابطين وشيوخ الزوايا والطرق الصوفية على الساحة، وهذا نتيجة الفراغ السياسي الذي شهدته المنطقة بسبب ضعف الحفصيين شرقا والزيانيين غربا، لذلك حلت السلطة الروحية محل السلطة السياسية، وتسلمت زمام الأمور في تسيير المجتمع في جميع المجالات، وهو ما جعلها تكتسب مكانة ونفوذا كبيرين في الأوساط الشعبية، ومما ساعدها على ترسيخ مكانتها ونفوذها في المجتمع، مجموعة من المعتقدات الشعبية التي صدقها الناس .

وبما أن الجزائر خلال العهد العثماني عرفت العديد من المرابطين والطرق الصوفية الذين تجسدوا في عدة زوايا، والتي عادة ما يكون المؤسس هو المسؤول عنها، ويفرض نفوذه عن طريق معرفته الدينية بحسه السياسي لكن أكثر ما كان يفرض به نفوذه هو تلك المواهب الروحية التي تعترف بها الجماهير الساذجة المحرومة والخاضعة للظروف القاسية كالأوبئة والحروب، وهو ما أدى إلى كثرة أسر المرابطين الذين منحوا التقديس للاعتقادات والممارسات التعبدية لمؤسساتهم،[1] فهذا المقدس أو الزعيم الروحي كان يغذي أمال الجميع، على أنه الشفيع والوسيط المسموع الكلمة بين المتخاصمين، وهو ما أدى إلى انتشار المعتقدات الوثنية المفعمة بالشعائر والاحتفالات والممارسات اللامعقولة أو الخارقة للعادة، مما أدى إلى خلق مقاومة تقف ضد تدخل العقل.[2]

ومن هذا المنطلق كان الحرص على محبة أولياء الله الصالحين، واحترامهم والاقتداء بهم والامتثال لأوامرهم والتبرك بهم وطلب شفاعتهم،و لما عرف عنهم من تقوى وصلاح ومكانة،[3] وهذا ما جعل كذلك المرابط (الولي) نفسه يسعى دائما لإبراز شخصيته على أنّ لها قيمتها وعلى الآخرين احترامها خاصة وأنه كان يرتكز في هذا على ما يسمى الولاية والبركة المتوارثة والمكتسبة.

المعتقدات الشعبية في السلطة الروحية في الجزائر:

مثَّل العهد العثماني خاصة نهاية القرن 18 وبداية القرن 19م العصر الذهبي للاعتقادات الشعبية الساذجة، والاحترام والولاء الراسخ للأولياء، باعتبارهم يمثلون الدين، وكذلك كونهم هم مؤسسي الزوايا والطرق الصوفية، والأسر المرابطية،[4] فمال الناس إلى تمجيد الأولياء، لأنه في

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
tavsanciksedri@hotmail.com
ص . ص 150 -179

اعتقادهم أن قدرتهم مستمدة من القوة الإلهية، ويشير"حمدان خوجة" إلى هذا الإيمان الراسخ لدى القبائل حول المرابطين وسطوتهم الخارقة للعادة التي أثرت بأفكار البربر الضيقة، التي تؤمن بأنّ الله هو من يسوق ويرشد هؤلاء المرابطين ويأمرهم.(5)

فكانت كل الشرائح الاجتماعية تؤمن بمعجزات وكرامات وبركة المرابطين والأولياء، وظهر هذا في سلوكاتهم: كالدعاء والاستنجاد بهم في الأوقات الصعبة أو الاستبشار والتبرك بهم في الزواج والختان والخطوبة، وعند الإقدام على أي عمل، وطلب الشفاء من المرض وغيرها، وهذا الاعتقاد في الأولياء من امتلاكهم للخوارق والقيام بدور الوسيط بين الله والناس، جعل الناس يضفون عليهم عدة صفات "كحبيب الله" و"ولي الله"....،(6) مما أدى بهم إلى تقديم الهدايا للزوايا والأضرحة، وما يرافقها من طقوس للذكر والصلاة والرقص والمدائح،(7) وكل هذا راجع إلى بساطة تفكير وجهل الناس، الذين كانوا يؤمنون بهذه المعتقدات اللاعقلانية، وعلى دهاء المرابطين الذين يلجؤون إلى هذه الممارسات لترسيخ وجودهم ونفوذهم،(8) اعتمادا على اعتقادات العامة والخاصة بكراماتهم وقدراتهم على إدراك الغيب وكشف ما في الضمائر والقدرة على الحضور والغياب، وتحَكُّمْ خيارهم في أحوال الطبيعة.(9)

وقد انجرف وراء هذه الاعتقادات العامة، كما انجرف ورائها الخاصة من العلماء أنفسهم، واعتقدوا في قدرات الأولياء،(10) منهم "الورثيلاني" الذي يقول: «إن الوقوف عند أبواب الأولياء، والسؤال منهم والاحتياج لهم، والنظر في وجوههم أو مشاهدة قبورهم والتضرع لله بين أيديهم... والذل والمسكنة عندهم لقدر جليل عند الله».(11)

ومنهم من قال: «إذا غلت أسعاركم، وقلت أمطاركم، وضعفت ثماركم وتنكرت قلوبكم وعميت عن الرشد مسامعكم، وكثرت النميمة والغيبة في خياركم، وجارت عليكم ملوككم فالتجئوا إلى الله بالأولياء الذين خلْف ظهوركم يؤّمنكم الله بما تخافون...».(12)

لهذا نجد ظاهرة لجوء الناس إلى الشيخ أو الولي أو العارف بالله (حيا أو ميتا) لاعتقادهم في كراماته واعترافا ببركاته،(13) في تذليل الصعاب وإصلاح الأضرار من (مرض، وضياع،...) أو سد الحوائج من (جوع، وقلة رزق، وديون...)،(14) فالولي كان المرجع الأساسي لكل محتاج ومريض وجائع ومن يريد تحقيق دعاء أو أمنية ونيل بركة وتيسير علم،(15) فهؤلاء الأولياء الذين عرفوا في حياتهم

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 150 -179
tavsanciksedri@hotmail.com

بالتقوى والكرم والحكمة كانوا ملجأً ومقصدا للناس لحل مشاكلهم الدنيوية والدينية، وبعد مماتهم أصبحت قبورهم مزارا للتبرك اعتقادا منهم أن جسد المرابط هو الذي يموت أما روحه فتظل تحوم لحماية الناس ومساعدتهم، لذلك شجعت عائلة المرابط الأمر عن طريق حث الناس لزيارته أو إحياء احتفالات سنوية داخل زاويته أو قريته،[16] هذه الزيارة نحو أضرحة الأولياء التي نشأت وظهرت بشكل ملفت للنظر في القرن 10ه/16م وهي حسب "دوتي" استمرار لمعتقدات البربر السابقة وميلهم إلى تقديس السحرة.[17] ومن المعتقدات التي كانت شائعة وراسخة لدى الناس في الأولياء:

1- الاعتقاد في بركة الأولياء:

❖ **البركة:** «هي النماء والزيادة، والتبريك هو الدعاء بالبركة ويقال بارك الله لك وفيك وعليك»[18]، وتبركت بالشيء أي تيمنت به،«والبركة هي ثبوت الخير الإلهي في الشيء، ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل من يشاهد منه زيادة غير محسوسة، هو مبارك وفيه بركة».[19]

أما عند المتصوفة والمرابطين فهي ذات معنى آخر فهي هبة أو قوة إلهية توضع في الشخص وتنتقل من جيل لآخر[20] «وهي ثمرة معنوية غيبية من ثمرات العمل الصالح، وهي سر إلهي وبها يحقق الله الآمال، ويدفع السوء... وبها تفتح مغالق الخير فهي لون من الرحمة والفضل الإلهي والخير الشامل، والفائدة واللطف الخفي، وإنكارها إنكار الحقيقة الإلهية»،[21] أو «هي قوة خارقة للعادة والطبيعة، تسمح لهم بتحقيق المعجزات فهي نعمة إلهية تكون متمركزة داخل الشخص (الشرفاء)».[22]

وهذه الهبة قد تكون في الشخص كونه شريفا حيث يصبح الأمر كافيا للتبرك به، وقد تكون في شخص عرف عنه العلم الديني والمعرفة بالله فيلجأ إليه للاستشارة والتبرك،[23] أو قد تنتقل من شخص إلى آخر من محيطه، هو جدير بها من أفراد عائلته.[24] قد توجد في شخص دون أن يعرف ذلك، وليست سببا حتى تعترف الجماعة بسلطته الدينية وتطيعوه وتشبعه.[25]

لقد كان ينظر للولي على أنه كائن حي له قدرات خارقة يستمدها من البركة الإلهية، أي أنه كائنا يفوق كل الكائنات، بفضل هذه البركة التي كانت تفعل المعجزات في كل مكان،[26] وهذا من

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 150 -179
tavsanciksedri@hotmail.com

أجل كسب ثقة السكان السذج بسبب الجهل المنتشر في صفوفهم وسبب غربتهم في الغالب عن اللغة العربية،[27] التي تسمح لهم بتعلم القرآن وتدبر معانيه.

وحسب الاعتقاد الشائع فإنه وبفضل هذه البركة التي يتمتع بها الأولياء، سواء كانوا أحياء أو أمواتا تتحقق أمنيات ومطالب الناس من دعاء وشفاء من الأمراض وغيرها من الاعتقادات بقدرة الولي على المدد أو المنح والعطاء والمساعدة التي يقدمها للمحتاج بفضل بركة مقامه.[28] ولهذا يشير الصباغ أن كل من دخل قبة سيدي أحمد بن يوسف المليانى سواء كان عليلا شفي أو مريضا بريء أو خائفا أمن أو ملهوفا أغيث، وكل مكره إلا فرج كربه ببركة الولي.[29] ومن طرق الحصول على بركة الأولياء:

- **زيارة الأضرحة والتبرك بالأولياء:** تعد زيارة الأضرحة من طرق الحصول على بركة الولي، وأخذ كمية من التراب المحيط بالضريح، لكونه مقدس ومبارك،[30] وتتم زيارة الضريح بعد موسم الحصاد وبداية موسم الزرع للتبرك، وفي المناسبات كالزواج والولادة لطلب بركة الولي من أجل حماية الزوجين والرضيع وأمه من العين ومن القوى الخفية، حيث يقومون بوضع الهدايا على الضريح والدوران حوله سبع مرات من اليمين إلى اليسار ثم الدوران سبع مرات من اليسار إلى اليمين وإشعال الشموع، وتقديم الوعدة التي توضع على الضريح أو تقدم للشخص القائم عليه، ويطلبون منه مباركة أملاكهم وأولادهم، وصحتهم، وتحقيق مطالبهم من شفاء أو زواج أو إنجاب، ووفرة محصول وإذا وفقوا في طلبهم، قدموا له هدايا في المرة المقبلة.[31]

لكن زيارة هؤلاء الأولياء والتبرك لم تكن مقتصرة على الناس السذج أو ذوي الثقافة المحدودة، بل حتى العلماء والمتصوفة يهتمون بزيارة قبور وأضرحة أسلافهم من المشايخ لاعتقادهم في نيل البركة من الزيارة، وحتى في كتاباتهم نجدهم كلما ذكروا أولياء إلا وقالوا: "نفعنا الله ببركته" ولنا في رحلة الورثيلاني خير دليل على ذلك، فلا نجده زار مدينة إلا وتبرك بأوليائها، وحتى العلماء من المشرق والمغرب ممن يقصد الجزائر كانوا يزورون الأضرحة-خاصة المشهورة منها-للتبرك، مثل التمغروطي الذي يذكر أنه زار عدة أضرحة لما دخل مدينة الجزائر في طريق عودته من اسطنبول نهاية القرن 16م حيث يقول: «وتبركنا بهم رحمهم الله، ونفعنا بهم».[32]

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 150 -179
tavsanciksedri@hotmail.com

ومن الأضرحة التي كان يزوره كل من يدخل مدينة الجزائر ضريح عبد الرحمن الثعالبي الذي كان مزارا لكل زائر للمدينة فيقول "المكناسي":«وأقمنا بظاهرها (مدينة الجزائر) يومين وزرنا تربة الأستاذ البركة سيدي عبد الرحمن... وتبركنا بتربته المباركة، ودعونا الله هناك بما نرجو القبول». كما يشير في موضع آخر أنه زار ضريح أبي مدين شعيب: «وزرنا تربة الولي الصالح المستصرخ به جميع الأقطار القطب سيدي أبي مدين الغوث نفعنا الله ببركاته».[33] وهو الولي الذي كان يقصده كل من دخل لتلمسان للتبرك به، فنجد "العبدري " (ت720هـ/1320م) الذي زار تلمسان أواخر القرن 13م يذكر أنه تبرك بجملة من الأولياء منهم سيدي أبي مدين.[34]

وتعد زيارة الأولياء وطلب بركتهم، وتقديم الصدقة لهم بغض النظر عن نوعها وقيمتها، أمرا شائعا في المجتمع المغربي ككل، وهي ظاهرة منتشرة بكثرة خاصة عند المعتقدين في بركة الأولياء،[35] الذين عمد بعضهم إلى حد تحبيس أملاكه على الأولياء، طلبا لبركتهم كسيدي عبد الرحمن الثعالبي، سيدي يعقوب، سيدي أحمد الزواوي بمدينة الجزائر، حيث أننا نجد في كل الوثائق المحبسة على الأضرحة عبارة: "نفعنا الله ببركاته" أو "نفعنا الله ببركاته وبركات أمثاله" منها وقفية الفقيه أحمد البرادعي الذي أوقف جلسة حانوت على ضريح الثعالبي جاء فيها: «....أشهد الآن السيد الحاج أحمد البرادعي المغفور لجريان العمل بذلك على ضريح الولي الصالح القطب ... سيدي عبد الرحمن الثعالبي نفعنا الله ببركاته...».[36]

❖ **طرق أخرى للحصول على بركة الولي:** لقد تعددت أوجه الحصول على البركة من الولي حيا أو ميتا، كالالتزام بقواعد السلوك المقررة اجتماعيا ابتغاء مرضاة هؤلاء الأولياء أو خشية منهم،[37] خاصة إذا كان هؤلاء المرابطون هم من وضع هذه القواعد أو حضر الاتفاق والإجماع عليها، ومنهم من كان يأكل من الصحن الذي أكل منه الولي اعتقادا في أن بركته تنتقل إلى الطعام الذي أكل منه،[38] من ذلك ما ذكره الصباغ عن كرامات سيدي أحمد بن يوسف الملياني، بحيث أنه نزل مرة ضيفا مع جماعة على أحدهم بوهران فحضَّر لهم هذا الأخير ما يكفيهم، لكن في الطريق انضمت لهم جماعة أخرى، فلما رآهم المضيف احتار كيف يفعل، فطلب منه الشيخ الملياني أن يقدم ما حضره فقط، وقام هو يتذوق كل نوع من الطعام والدعاء عليه، وقدمه لذلك الجمع وكفاه.[39] كما أنه في يوم قصده المرابط الفقيه محمد القلعي مع وفد من 25 رجلا أضر بهم الجوع

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 150 -179
tavsanciksedri@hotmail.com

فقدم لهم الشيخ قصعة بها أكل لا يكفي إلا لاثنين لكنها كفت الوفد كاملا وهذا كرامة وبركة من الولي،[40] لأن الشيخ دعى في الصحن فحلت البركة في الأكل.

وللحصول على بركة الولي كان الناس يسمون أبناءهم على أسماء الأولياء مثل سكان تلمسان الذين يطلقون اسم بومدين على أبنائهم تبركا بوليها الشهير سيدي بومدين،[41] ونفس الشيء عن سكان وهران الذين يتبركون باسم وليها سيدي الهواري، كما أن الاحتكاك بالمقام والضريح من حيطان وخشب، وتقبيل الزرابي الموجودة داخله وإشعال الشموع والجاوي والبخور، تعد إحدى طرق الحصول على بركة الولي، وحتى عن طريق الدفن قرب ضريح أو مقام الولي.[42] وهذا نظرا للأهمية التي يمتاز بها هؤلاء الأولياء في حياتهم وبعد مماتهم، لذا كان الناس يفضلون الدفن قرب أضرحة الأولياء، لاعتقادهم أنهم يشاركون الولي قداسته وبركته،[43] لذا نجد منهم من كان يسعى لشراء قبر قرب ضريح ولي كضريح عمار التنسي،[44] وزاوية الأشراف التي كانت تبيع المقابر لمن يريد الدفن داخلها من غير الأشراف،[45] وهذا لم يكن مقتصرا على العامة بل حتى على الخاصة من العلماء والحكام مثل المفتي المالكي أحمد الزروق بن عمار الذي دفن قرب ضريح الولي سيدي أحمد بن عبد الله وسيدي عبد الرحمن الثعالبي،[46] والحاج أحمد باشا (قتل 1109هـ/1697م) دفن يمين سيدي عبد الرحمن الثعالبي،[47] وإبراهيم باشا (توفي 1122هـ/1720م) دفن قرب سيدي الكتاني وسيدي يعقوب.[48]

فالاعتقاد في بركة الولي وما يمكن أن تفعله في حياتهم جعل الناس يسعون للحصول عليها بشتى الطرق، حيث كانوا يضعون في الضريح أدوات خاصة بالحرث، أوالصوف أو الحلفاء لمدة معينة حتى تعمها بركة الولي، وتصبح مقدسة بعدها يأخذونها لتكون البركة مرافقة لها دائما،[49] فمثلا سكان جبل شنوة بتيبازة، كانوا يضعون في الربيع محصول التين قرب الضريح محصول السنتين طوال الليل ليأكلوها بعد ذلك مع أسرهم، أما في الخريف عند جني الحبوب يضع كل فلاح مقدارا من الحبوب حسب ثروته وكرمه عند الضريح وفي الغد يخلط الكل ويتقاسمونه، وهذا طلبا لبركة الولي لمحصولهم.[50]

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
tavsanciksedri@hotmail.com
ص . ص 150 -179

2- الدعاء المستجاب وقضاء الحاجات:

كان الولي في نظر الناس هو الشخص المقدس والوسيط، مما جعله يحظى بتقدير وتبجيل ومهابة، كما أن قربه من الله جعله صاحب كرامة وبركة لها تأثيرها على قوى الشرّ بفضل دعائهم مستجاب.

فاستجابة الدعاء كانت عند المتصوفة تعد علامة من علامات الولاية، لذلك اعتبر الدعاء أحد مقومات السيطرة والنفوذ أو الكاريزما التي اكتسبها الأولياء، حيث تحول الدعاء إلى سلاح بيد المرابطين والأولياء نتيجة اعتقاد الناس باستجابة دعائهم،(51) لهذا يشير "حمدان خوجة" أن المرابطين دعاؤهم مقبول فعلى سخط أو بركة الولي (المرابط) تتوقف سعادة القبائل لذلك قدموا له القرابين حتى تتحقق أمانيهم.(52) ولهذا كان الناس يقصدون هؤلاء الأولياء من أجل الدعاء، مثل زاوية سيدي الشيخ التي كانت تقصدها القبائل البعيدة من أجل أن يحصلوا على دعاء الشيخ لهم، بإنزال المطر أو للحصول الوفير أو الدعاء للمواليد الجدد وللمرأة العاقرة، وحتى الدعاء لهم لحماية مواشيهم وقطعانهم وإبعاد الأمراض.(53)

ومن أمثلة اعتقاد الناس في استجابة دعاء الأولياء، ما يذكره "الصباغ "أن الله استجاب لدعوة المليانى بسقوط بني زيان الذين أحدثوا ظلما كبيرا ضد السكان بوهران فدعى عليهم الشيخ بقوله: «شوشونا شوشهم الله من البر والبحر» فلم يكن إلا من قليل حتى أخذ المرسى الكبير ثم وهران.(54) كما يعتقد الناس أن مقتل عروج كان استجابة لدعاء الشيخ أحمد بن ملوكة، بحيث لما دخل تلمسان وأساء لأهلها اشتكوه إلى الشيخ الذي انتفض ثم ضرب الأرض بيده وقال: «والله لا يرجع تلمسان أبدا اعتمادا على الله» فكان كما قال، حيث مات عروج ولم يعد إليها.(55) ومن أشهر الاعتقادات الشائعة حول قبول دعاء الأولياء أثناء حملة شارلكان على مدينة الجزائر اجتمع عدة أولياء مثل الولي دادة، وبوقدور وأبي التقى يتضرعون بالدعاء إلى الله فثارت زوبعة حطمت الأسطول الاسباني.(56)

لم يقتصر استجابة دعاء الأولياء وهم أحياء، بل حتى وهم أموات كان الناس يقصدون أضرحتهم للدعاء قربها ظنا منهم أن دعاءهم سيكون مستجابا، وهذا الاعتقاد كان سائدا وشائعا عند كل الأضرحة دون استثناء، أين يقوم الناس بالصلوات والدعاء بها تقربا إلى الله أن يشفيهم من

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
tavsanciksedri@hotmail.com
ص . ص 150 -179

الأمراض،[57] ويقضي حاجاتهم العائلية والاقتصادية. منها زيارتهم لضريح بوقبرين، وتقديم الصدقات من نقود وخبز للفقراء، وتقديم القرابين حتى تتحقق أمانيهم،[58] خاصة من طرف النساء اللواتي كنّ يقصدن هذه الأضرحة للدعاء، إذا كانت عاقرا أو عانسا أو تتعرض للمضايقات والمشاكل، فتتوسل عند الزاوية أو الضريح لحل مشاكلها،[59] وزيارة ضريح سيدي فليح بمدينة الجزائر الذي كانت تزوره البنات للدعاء وطلب الزواج عنده [60]

3- الاعتقاد في الإشفاء (العلاج):

كان الاعتقاد في قدرة المرابطين في علاج الأمراض شائعا جدا، لذلك نجد الناس يلجؤون إليهم بهدف الشفاء، ويعلقون التمائم سواء من القرآن أو الطلاسم داخل أحجبة جلدية مغطاة بالنحاس لحمايتها من التلف والمصنوعة من طرف المرابطين من أجل تيسير زواج أو الاستشفاء،[61] أو استعمال خلطات مقدمة من طرف الشيخ (المرابط) أو أن يمسح بيده على رأس المريض،[62] مع الدعاء أو بدونه،كنوع من الطقوس ذات الوظيفة الاستشفائية المعروفة بالمغرب الإسلامي منذ القرن 6هـ/10م،[63] مثل المرابط أحمد "نكروه"[(*)] بمعسكر(ق16م) كان يعتقد في إبرائه للمرضى بمجرد اللّمس أو التحدث مع المريض.[64]

ولم يكن الاعتقاد في قدرة المرابطين على العلاج في حياتهم بل حتى بعد وفاتهم، لأنه من المعروف أن الولي بعد وفاته تكثر الأساطير حول كراماته وبركته التي تبقى متواصلة حتى بعد وفاته، حيث تقصد أضرحتهم وزواياهم قصد العلاج، لاعتقاد الناس أن زيارتها يعد سبيلا للشفاء، لذلك اختص كل ضريح أو زاوية في إشفاء مرض معين كالحمى والشقيقة، أو للعلاج النفسي من أجل الحصول على الراحة والهدوء، وإبعاد العين والحسد، ونيل البركة وطلب العون والحماية والأمن وتقديم القرابين لإخراج الجن من المريض.[65]

لهذا السبب نجد عند كل بناية أناس يتبركون ويدعون ويزورون ويقدمون الهدايا والذبائح، والوعدة وإشعال الشموع والبخور،[66] أو استعمال تربة الضريح بنية الشفاء، لاعتقادهم في بركتها ونفعها عن طريق وضعها على الجروح أو بلعها مع الماء أو التبرك بمياه العيون الموجودة بالضريح،[67] وحتى الأشجار التي تنمو قرب الضريح يعتقد في بركتها، مثال ذلك شجرة الخروب قرب ضريح الثعالبي بمدينة الجزائر يعتقد في شفائها للحمى،[68] وزاوية سيدي علي الزاوي، هي الأخرى

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 150 -179
tavsanciksedri@hotmail.com

كان يعتقد أن ماءها يذهب الحمى ويحفظ العلاقات الزوجية، ويبري العقم،[69] كما كان سكان تلمسان يشربون من ماء (عين ونزوتة) قرب مكان يدعى "سبع أولياء" لأنها في اعتقادهم مباركة وتشفي العديد من الأمراض كما يخلطون ماءها مع الزيت ويدهنون أجسامهم به بغية إدخال البركة لأجسادهم.[70] وهذا اعتمادا على أن بركة المرابط التابعة له قد عمَّتْ كل شيء محيط بالزاوية أو الضريح، لهذا كان هذا الاعتقاد شائعا خاصة لدى النسوة اللواتي لا ينجبن.

كما كان كل ولي وضريح مختص في علاج مرض معين، فنجد سيدي يعقوب لعلاج مرض العيون عن طريق أكل ورق شجر زيتون موجودة على الضريح، ونجد كذلك سيدي بوراس لعلاج الشقيقة، وسيدي القصبي لعلاج الحمى، حيث على المريض زيارة الضريح ثلاثة أيام متتالية، وجمع ما سقط على الضريح من أوراق يحرقها ويستنشقها فيشفى من الحمى، وسيدي الداودي بن منصور لعلاج العقم، أما لعلاج الإصابة بالأرواح الشريرة والجنون فيقصد سيدي كانون حيث تقدم عند ضريحه ذبيحة (النشرة)، والطالب هو من يحدد لونها لأن لكل جني لون خاص به،[71] وعندما ترتوي هذه الأرواح (الجن) أو القوى الخفية من دم الذبيحة (القربان) تبتعد عن المريض بعد ذلك، وفي حالة لم يشف المريض يرجع الأمر إلى سوء نيته وليس لأن المرابط أو الولي فشل في شفائه،[72] أو أن يقصد المريض ضريح سيدي الطيار بمدينة الجزائر الذي يشفي الحمى والمس، ويبيت فيه ويغتسل بمائه بغية إخراج الجن منه.[73] ولعلاج الجنون لم يكن يكتفي بزيارة واحدة فقط للضريح، وأحيانا ومن أجل إخراج الجن تستعمل للعلاج الحضرة والرقص، حتى يسقط المريض مغشيا عليه.[74]

إن الاعتقاد في القدرة على العلاج لم يقتصر على المرابطين أو أضرحتهم وزواياهم بل حتى كل من كان يعتقد فيه الصلاح كالأشجار والحيوان، كانت أيضا تقصد للتبرك وطلب الشفاء أو إبعاد الأمراض وتقدم القرابين لها. كما كانت تقدم القرابين كل يوم أربعاء من الأسبوع على شكل دجاج لعين تدعى "سبع عيون" أو "عيون الجن"،[**] بنية إبعاد الأرواح الخفية، [75] أما بقسنطينة فكانت بها عين فيها سلاحف، تعتقد النساء أنها شياطين، وإذا أصيبت إحداهن اعتقدن أن السلاحف هي السبب فتذبح دجاجة بيضاء وتضعها عند العين بريشها في إناء حول شموع بنية الشفاء، لكن حسب الوزان "كم من الضرفاء" تبعوا المرأة وهي تتوجه إلى العين بالدجاجة فأخذوها

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 150 -179
tavsanciksedri@hotmail.com

بعد انصرافها وذبحوها وأكلوها.[76] فكل هذه الاعتقادات كانت مبنية على قدرة المرابط على المنح والعطاء سواء كان حيا أو ميتا.

4- الاعتقادات الشعبية في كرامات أقطاب السلطة الروحية:

الكرامة: هي ظهور الخوارق على يد الأولياء الذين خرقوا عادة الخلق على غير المألوف والطبيعي، كالانتقال من مكان لآخر بعيد عنه بأميال في لمح البصر، المشي على الماء، الطيران في الهواء، استشفاء المرض تحويل المعدن الرخيس إلى معدن نفيس...[77]

لذا عرفها شمس الدين الرازي بقوله: "**كرامات الأولياء ما يكرمهم الله به من الأمور الخارقة للعادة**"،[78] فهي الميزة الأساسية التي تحدد التاريخ الروحي للسالك إلى الله.حيث تجعل الولي يحمل سمات تختلف عن باقي البشر وتجعله أقرب إلى الله منه إلى الإنسان.[79] وتكمن فائدتها في معرفة الولي الصادق من المدعي الكاذب وظهورها علامة صدق من ظهرت عليه، وبهذا فهي أمر خارق يوّد به الله أولياءه، وإن حصلت فهي دلالة على صدق عبادته وعلو مكانته بشرط إتباع الرسول "ص" حسب ما أورده ابن تيمية.[80]

وبالتالي وحسب "ابن معاذ" أن: «من يتولى الله بالطاعة يتولاه بالكرامة».[81]

وهذه الأفعال الخارقة ليست محصورة على الأولياء فقط، فقد تصدر من قوة همة العبد وعلى علم منه.[82] أو قد تكون لشخص غير صالح لذلك يقول ابن تيمية: «أنّ أولياء الله اتفقوا على أنّ الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء، لم يغتر به حتى ينظر متابعته للرسول "ص" وموافقته لأمره ونهيه».[83]

وتختلف الكرامة عن المعجزة في كونها للأنبياء والكرامة للأولياء فحسب ابن تيمية فإنّ "المعجزة للنبي والكرامة للولي"،[84] والأولياء مجبرون على كتم كراماتهم عكس الأنبياء عليهم إظهار المعجزة للخلق للاحتجاج على الكفار والدلالة على الله عكس الكرامة، فهي حجة الولي على نفسه حتى تطمئن ولا تضطرب، لأنّ النفوس مجبولة على الشك وأمارة السوء.[85] وبهذا فهي عون الولي على طاعته ومقوية ليقينه ودلالة على صدق دعواه.[86]

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
tavsanciksedri@hotmail.com
ص . ص 150 -179

والكرامات نوعان حسية ومعنوية فالعامة تعرف الكرامة الحسية فقط مثل الكلام والإخبار بالغيبيات الماضية والآنية والآتية والمشي على الماء، وإجابة الدعاة، أما المعنوية فهي طهارة القلب ومراعاة حقوق الله، وإتيان مكارم الأخلاق.(87)

لكن هذه الكرامة تطورت مع مرور الوقت للدلالة على قداسة الشيخ خاصة بعد وفاته لتصبح بذلك بابًا ولج من خلاله أدعياء التصوف من أصحاب الدجل والخرافات، فساد الاعتقاد أنّ هذه الكرامة لا تزول بعد وفاة صاحبها، بل تلزم قبره وهي أداة التواصل بينه وبين الناس لذلك يتبركون بضريحه، وما فيه من خرقة معلقة وأعلام مزينة وشموع، وبخور...(88) والقيام بطقوس من أجله حتى يساعدهم في قضاء مبتغاهم.

وعلى الرغم من أن أكثر الصوفية يقول بجواز إظهار الكرامات لأنها عون للولي على طاعته ومقوية ليقينه، ودلالة على صدق دعواه،(89) إلا أنه أثير جدل واسع حول جواز التصديق بها، خاصة بعدما كثر تداولها، وتوسع تأثيرها إلاّ أنه شاع الاعتقاد كثيرا في كرامات الشيوخ والمرابطين، حتى عند بعض الذين عرفوا بالعلم واجتهدوا في نشره فنجد في مؤلفاتهم ذكر الكثير من كرامات الأولياء.

إن مسألة الإيمان بالكرامات والخوارق جعلت الناس ينبهرون بهؤلاء الأولياء، مما دفعهم إلى الاعتقاد أنهم دائما بحاجة إلى بركاتهم وعنايتهم ليصبح الأولياء أبطالا غير عاديين، وتنسب إليهم من الصفات والأفعال الشيء الكثير والغريب في نفس الوقت، فالمجتمع لعب دورا كبيرا في نشر هذه الكرامات، وهذا بإضفائه ميزة عجيبة على الولي، كالتكلم من قبره أو أذيته من يحاول سرقة ضريحه،(90) وغيرها من الكرامات التي نسبت للأولياء حتى وهم أموات. كما تناقل الناس الكثير من القصص حول كرامات الأولياء فمنهم من أضاع جملا فنادى على الولي ونذر له نذرا فوجد جمله حالا، ومن ظلمه أحد نادى جده الولي فانتقم له من ظالمه، ومن ظل طريقه استنجد بأحد الأولياء حضر الولي في صورة رجل ودله على الطريق، ومن طلب الشفاء من مرض شفي ودعى برجوع غائب عاد.(91)

فهذه الكرامات وإن اختلف أصحابها وأفعالهم فهي تدور حول محور واحد هو تقديس الذات وتأكيد السلطة، باستظهار الأولياء لقدراتهم، والحديث عنها يزيد من إعلاء مكانتهم بين

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 150 -179
tavsanciksedri@hotmail.com

مريديهم.[92] وقد ازداد الحديث والاعتقاد حول هذه الكرامات، خاصة في عصر تدهور الأوضاع الاقتصادية والسياسية وتفشي الأوبئة والمجاعات،[93] لتأخذ بذلك الكرامات بعدا خطيرا، حيث زادت من قداسة الشيخ أو الولي، خاصة بعد وفاته أين تنسج حوله الأساطير، مثلا سيدي أحمد بن يوسف الملياني الذي ظهرت عليه كرامات وضاع صيته، فكثر أتباعه الذين أفرطوا في محبته والاعتقاد في كراماته حتى نسبه بعضهم إلى النبوة مثلما فعلت طائفة اليوسفية،[94] أو مثل عبد القادر بن محمد السماحي المعروف "بالشيخ" الذي وصل بالناس الاعتقاد في كراماته إلى حد كادوا يدعونه "إله"،[95] على حد قول أبو راس الناصري.

ومن الكرامات التي نسجت ونسبت للأولياء قدرتهم على التنبؤ بالمستقبل، وإلحاق الأذى (اللعنة) لكل من يتطاول عليهم أو على ممتلكاتهم والإتيان بالخوارق، وقدرتهم على حماية المدينة والناس سواء كانوا أحياء أو أمواتا، لأنه في نظر المتصوفة أن: الجسد سجن الروح وبعد الموت تسري الروح في العوالم تتفقد الأهل والخلان وتساعدهم إذا احتاجوا المساعدة، وهذا يعني أن الولي لا يمنعه موته من الحضور إلى الدنيا والعطاء فيها[96] وهو الأمر الذي سمح بانتشار معتقد الكرامة بعد وفاة الولي.

ومن الأمور التي يعتقد أنها جرت على يد هؤلاء الأولياء وعدت من الكرامات التي حباهم الله بها:

أ- معرفة الغيب والتنبؤ:

كان الأولياء والمرابطين في نظر الناس أنهم أصحاب كرامات ومكاشفات، حيث شاع الاعتقاد في قدرتهم على معرفة الغيب أو ما يسمى "بالمكاشفة" والتي تعني أن الولي بإمكانه الاطلاع على الأسرار الإلهية أو على ما هو مستور.[97]

وبالتالي فالولي يمكنه معرفة ما يحدث مستقبلا وما يدور حوله من أفعال وحتى ما يجول في خواطر الناس، والتنبؤ بحادثة اجتماعية أو سياسية، وهذه الميزة تعتبر ملكة من ملكات الأولياء.[98] من ذلك ما أورده الصباغ حول الولي سيدي أحمد بن يوسف الملياني عندما أطلق سراحه أبو حمو، وطلب منه الخروج من تلمسان، فرد عليه "لا أخرج حتى نخرج منها جميعا"، وفعلا هرب أبو حمو إلى وهران لما دخلها أخوه المسعود، أما الشيخ فغادرها فيما بعد.[99]

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 150 -179
tavsanciksedri@hotmail.com

أما سيدي محمد بن أحمد الشريف الزهار أحد تلامذة المليانى فقد تنبأ باحتلال تلمسان وبجاية، فكان يدخل المسجد، ويقول أدنسه قبل أن يدنسه الكفار، وأيضا يقول للناس "التواتي ما يواتي"[100] ويقصد به مرابط بجاية محمد التواتي، أما صاحب البستان فيذكر أن الشيخ عبد الرحمن اليعقوبي (10هـ/16م) قد تنبأ بفشل حملة الحسن بن خير الدين، وعلى الرغم من خلافه مع السلطة العثمانية إلا أنه طلب من الحسن بن خير الدين الرجوع عن مهاجمة فاس بقوله: «أقعد عن الحركة إلى فاس مالك بها من حاجة، ولا... يحصل لك شيء منها»، لكن الباشا لم يمتثل لقول الشيخ وسار في نحوها لكنه عاد منها خائبا دون تحقيق نتيجة مثلما قال له الشيخ.[101]

في حين أن ولي البليدة سيدي محمد بورقعة، فقد تنبأ بخروج الأتراك من الجزائر وحذرهم من ذلك: «أيها الأتراك إني أحذركم أن مدينة الجزائر قريبا سيحكمها المسيحيون» وقبل الاحتلال بسنوات كان يحمل معولا، ويخط في الأرض أخاديد، وإذا سئل أجاب أنه يرسم للمسلمين الطريق التي ستسلكها المدافع الفرنسية عند احتلال مدينة الجزائر،[102] وهو نفس الأمر الذي أشار إليه المرابط الزبوشي (ق18) الذي تنبأ بالاحتلال الفرنسي.[103]

فهذه التنبؤات رغم أنها منافية لما جاء في الدين، لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، إلا أنها غالبا ما كانت تتطابق مع الأحداث في الواقع، كما وأن الكثير منها أحدث أضرارا ونتائج سلبية مثل الذي قام به المرابط سيدي بلقاسم بن الحاج سعيد "بأدوغ" بقسنطينة،حيث قام بقتل زوجة بوابه بحجة أنه تنبأ أنها سترتكب فاحشة.[104]

ب- إلحاق الأذى (لعنة المرابط):

لم تقتصر استجابة دعوة الولي (المرابط) في جانبها الايجابي، بل أنّ الدعاء أصبح مصدر تخوف لدى الناس من أن تصيبهم لعنة الولي، التي تعد آلية من آليات فرض سيطرته، والتخويف منها أصبح عاملا لإثبات نفوذ الولي، حيث يقول أحدهم وهو شاذلي الطريقة لصاحبه: «لحم الولي سم فإياك وإياه» وقول آخر: «لا تجلس بين يديه (المرابط) إلا والرعب قد ملك قلبك»،[105] لذلك فلعنة الولي تعتبر سلاحا خطيرا يهدد الأفراد في أولادهم، وممتلكاتهم وصحتهم وهو ما دفع الناس إلى تفاديها بتجنبها أو بالتقرب للمرابط بالهدايا.[106]

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 150 -179
tavsanciksedri@hotmail.com

وبهذا فالاحترام الذي حصل عليه المرابطون أو الأولياء لم يكن دائما مستمدا من وسائل مشروعة، بل أحيانا استعملوا لهذا الغرض الترهيب، وتهديد الناس بدعائهم في صحة أبدانهم، وضد عائلاتهم وسلالتهم، وعقم النساء وإتلاف المحاصيل، وهو ما أجبر السذج على تصديقهم[107] وهو ما شجع البعض على استغلال هذا الخوف لمصلحته، فكان منهم حسب سعد الله من يوفر طعامه من غير تعب، حيث يدخل البيوت يأكل ويشرب، ومنهم من يمشي في الأسواق ويأخذ ما يريد من طعام وفواكه دون أن يعترضه أحد، وأن حاول ذلك أحد ضربه الشيخ ضربا مبرحا أو دعا عليه دعاء مهلكا،[108] حيث يذكر "الفكون" أن المرابط قاسم بن أم هاني كان إذا أعجبته فرس أو بغل لأحد أتباعه يضع يده عليها ويدعي أنها له ويحذره من بيعها، فلا يقدر صاحبها على بيعها حتى ولو كان بأمس الحاجة لذلك،ثم يأتي هو ويأخذها مجانا أو بثمن بخس.[109] وهذا بسبب خوف من أن يلحق به الأذى إذا خالف رغبة المرابط. كما يذكر دوتي أن المرابط سيدي الشيخ وجد شخصا يحفر بئرا ليتقرب به إلى الله، ولما طلب منه الشيخ ماء للشرب، رفض فسخط عليه سيدي الشيخ فجفت البئر.[110]

وقد ورد هذا التخويف من لعنة المرابطين حتى في وثائق الصلح أو الوثائق الخاصة بقانون ينظم الجماعة ويحضره المرابطون، مثال ذلك ما جاء في مداولة 1749م بمنطقة القبائل الخاصة بالميراث والإصلاح بين القبائل «من أراد هتك حرمة ما سطرنا أدقه الله بالذل والفقر والإهانة في الدنيا والآخرة في زماننا وزمان ذريتنا أو ذرية ذريتنا خلفا عن سلف...»،[111] وأيضا ما جاء في سن قانون الجماعة بين توريرت عبد الله وجماعة أذغاغ أملاك وكل من خالف ما جاء في هذه الوثيقة ومن هدم ما بنوه أولاد سيدي سعيد بن الطالب فعليه دعوة التي تلحقهم أبدا يلحقه الشر والهم والفقر والذل وتعسر عليه معيشته هو وأولاده إلى أبد الأبد.[112]

فهذا التخويف من لعنة المرابطين الهدف منه هو إجبار المتخاصمين أو الأعراش على احترام القانون الذي ينظم العلاقات بينهم، ويهيكل الممارسات الاجتماعية والاقتصادية، ومن لا يحترم قرارهم تصيبه لعنة وسخط المرابط، وفي هذا يذكر صاحب البستان أن سيدي عبد الرحمن اليعقوبي ذهب للإصلاح بين متخاصمين نواحي تلمسان، لكن أحدهم رفض الصلح ولم يحترم قرار

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
tavsanciksedri@hotmail.com
ص . ص 150 -179

المرابط الذي دعا عليه بقوله "الله يحرقك بالنار" وفجأة أصيب الرافض للصلح بحروق توفي على إثرها.[113]

وكذلك عندما حدث صراع بين أولاد إبراهيم وأولاد داود وأولاد شايب بالصحراء ألقى المرابط سيدي محمد بن عالية نفسه وسطهم وتوسل إليه لإيقاف الحرب، وأمام رفضهم دعى عليهم باندثار رخائهم، ومنذ ذلك الحين وهم يعيشون في حالة بؤس.[114] فتحقق دعوى وسخط الولي كان يعد كرامة من كراماته.

ومن الأمثلة كذلك التي وردت في الكثير من المصادر حول لعنة المرابطين بعد المساس بهم، ما حدث لوهران[***] واحتلالها من طرف الأسبان، ما هي إلا لعنة أصابتها نتيجة دعاء وليها سيدي الهواري بعد مقتل ابنه الذي كان مريضا ولقبوه الناس "بالهائج"، وقتلوه زعما منهم طبقوا عليه الشريعة وحاججهم الشيخ في مقتل ابنه، بعد إلحاح من زوجته لأخذ الثأر وبعد أن أثبت براءة ابنه، وإصرار قتلته على أنهم طبقوا الشرع فيه غضب منهم ودعى على وهران: «روحي يا وهران الفاسقة... إني بعتك بالبيعة الموافقة لنصارى مالقة والجالقة إلى يوم البعث والتالقة مهما ترجعي فأنت الطالقة» فرد عليه أحد تلاميذه يا سيدي والفرج لاحقة فقال الشيخ "والفرج لاحقة".[115] ورغم اعتقاد الناس أن سبب دعاء سخط الشيخ هو الذي كان سببا باحتلال المدينة إلا أنه لا يوجد ما يثبت هذا القول لأنه لا يمكن للشيخ أن يتمنى لوهران، أو أي مدينة إسلامية أن تقع تحت سيطرة الصليبيين.[116]

إن الخوف من التعرض للمرابطين وما قد ينجر عليها من لعنة وعقاب للمعتدي، أصبح كعامل لإثبات سيطرة المرابطين خاصة أمام ميل الناس إلى التصديق بسذاجة بأنّ فعلا لهم قدرات خارقة، وهذا الاعتقاد هو من كرس نفوذهم على السكان، فسكان القبائل يعتقدون أنه لا يمكن تجاوز أو عدم احترام المرابط لأنه بكلمة يمكن أن يحوله إلى امرأة أو ينزل الويل على محصوله الزراعي أو يسلط الأمراض عليه،[117] أو قد تحدث له أمور أخرى كأن تبتلعه الأرض إذا تعرض لولي، وهي من الكرامات الغريبة التي نسبت إلى سيدي عبد الرحمن الثعالبي، عندما تعرضت له جماعة بالشتم فابتلعتهم الأرض بسبب دعائه عليهم،[118] أما المرابط سيدي علي الندرومي الذي

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 150 -179
tavsanciksedri@hotmail.com

كان يقصده الناس بالهدايا والتبرك به، لما اعترض على سيدي احمد بن يوسف الملياني صار يتبول ويتغوط على نفسه لذلك قال الصباغ: «نعوذ بالله من التعرض للأولياء».[119]

ومن الكرامات التي حدثت على يد الأولياء ما ذكره كذلك ابن مريم عند تعرض أعرابي لعجول صغيرة للشيخ محمد بن عبد الرحمن الأدغم السويدي وجدها في زرعه فقتلها جميعا، ولما سمع الشيخ بالأمر بقي في بيته لم يكلم أحدا، حتى صار الأعرابي يصيح وبطنه ينتفخ «إرفعوني إلى الأدغم» حتى خرجت روحه.[120]

وهذا الأمر ينطبق حتى على الحكام، فكثيرا ما كان الناس يرجعون نجاح أو فشل الباي في حكمه إلى دعاء المرابط له أو عليه، وما حدث لصالح باي حسب الاعتقاد المحلي لدليل على أن التعرض للأولياء يجلب السوء، حيث يرجع الناس أن سبب مقتل الباي هو اعتدائه على المرابطين كسيدي عبيد الذي دعى عليه بزوال حكمه،[121] وسيدي محمد (الغراب) الذي قتله.[122]

كذلك اعتقد الناس أن سبب وفاة للباي خليل الذي كان يكره العلماء والأولياء (توفي سنة 1192هـ/1779م)، هو تعرضه لهم ودعاء الشيوخ الثلاث عليه، سيدي المداني، سيدي الحاج الموفق بن سعيد الشقراني البوشيخي وسيدي بوترفاس محمد الساحلي، لأنه توعد الأولان بالقتل فدعى عليه سيدي المداني قائلا « الباي خليل لا ترده من ذي التغرابا يا الجيلاني بابا حلف في وقال من السور ناليك»، أما الثاني فقام الليل على رجل واحدة بكامل القرآن في ركعة واحدة، ولما ناما بشرا بهلاك الباي، أما أبو ترفاس الذي غزا الباي زاويته وفرق طلبته وهو بقتلة وقد دعا عليه «فضحتنا علانية بلا سبب فضحك الله وعجل بهلاكك، تستريح منك البلاد والعباد». ويقال أن الباي مرض مرضا شديدا في طريق عودته وتوفي عندما وصل تلمسان.[123]

إنّ هذه الكرامات المتعلقة بالدعاء أو بلعنة الولي أصبحت إحدى الروافد الأساسية للسيطرة الكاريزماتية للسلطة الروحية حتى بعد وفاة الولي.

فكان الاعتقاد سائدا لدى زوار الولي صاحب الضريح أن له القدرة على القصاص من الظالم، وهذا اعتمادا على أن بركة الولي تمتد إلى قبره، فكانت حرمة القبور والتخويف من التعرض لها بسوء أو سرقة أو ارتكاب فاحشة، فمن أخذ شيئا يخص قبر الأولياء "لا يلوم إلا

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 150 -179
tavsanciksedri@hotmail.com

نفسه"،[124] منها أن النصارى لما رأوا مصابيح عند قبر سيدي الهواري نزلوا لأخذ من ظنوا أنه بات في ضريحه، ولما اقتربوا منه كسروا،[125] كما أنه عهد الباي مصطفى بوشلاغم أمر أحد الجنود بالدخول إلى ضريح سيدي الهواري للقبض على أحد المتهمين بضريحه فانتفخت بطن الجندي.[126]

وهذه الاعتقادات في كرامة وقدرة الأولياء الموتى بإلحاق الضرر بمن يسيء إليهم،فحتى من يحلف كذبا على قبر صالح يكسر طرف من أطرافه أو يسقط أرضا ولا يفيق حتى ينتهي من أعماله السيئة، ومن لم يكن صادقا عندما يدخل إلى مغارة الصلحاء فإنها تضيق عليه ولا يستطيع الخروج بينما يعبرها من كان صادقا بسهولة.[127]

ج- الاعتقاد في الحماية:

تعتبر مسألة الحماية أو العناية التي يمنحها الولي للناس من المعتقدات التي كانت شائعة، ولا يمكن تجاوزها، ويجب احترامها، فالاعتقاد في حماية المرابط كان حقيقة مدركة من طرف الجميع حكاما وأهالي، حيث كان لكل مدينة مرابط يحميها حيا كان أو ميتا.[128]

فالولي في نظر الناس كان يستطيع حمايتهم، والتوسل لفائدتهم، بفضل بركته،[129] خاصة لدى الناس الذين عانوا الحروب، والتي ساهم المرابطون في إرجاع السلم إليها بفضل بركتهم، لذلك كل قبيلة وقرية تعتبر وجود مرابط أو عائلة مرابطية بينها شرف لها، وتفتخر بذلك وتتبرك به لحماية أراضيها،[130] ومنهم من كان يطلب من المرابطين البقاء بينهم وتزويجهم بناتهم، وهذا للاحتماء بهم عند المصاعب والخلافات، لذلك وحسب درمنغام (Dermenghem) فإن فكرة القداسة اختلفت من وقت لآخر ومن مكان لآخر، لكنه لا يوجد شعب واحد لا يضع البطل أو الولي وراء أصل المدينة أو الساهر على حمايتها والحفاظ عليها.[131]

فالمرابطون كانوا دائما يسعون إلى منع الأذى قبل وقوعه، وبالتالي القضاء على احتمال حدوث صراع وخلاف في المجتمع، وإن حدث الأذى وفشل الولي في الحفاظ على الأمن فإنه يوقع العقوبة بالمعتدي أو الدعاء عليه بتسليط الأمراض والأوبئة عليه لذلك اتخذت كل قرية ولي يتوقع منه الحماية ودفع الأذى.[132] أما عند حدوث الكوارث الطبيعية كان الناس يلجئون للأولياء لحمايتهم ودفع البلاء عنهم فعندما ضرب جفاف بايلك الشرق سنة 1808م عهد الباي طوبال لجأ

الناس بالزيارات للمرابطين المشهورين بكراماتهم لتخليصهم من هذه الكارثة،[133] تبركا وتيمنا بهم حتى ينزل المطر.

ونتيجة هذا الاعتقاد كان لكل مدينة ولي يحميها، ويسمون "مالين البلاد" وتنسب إليهم المدن، فيقال عن مدينة وهران "مدينة سيدي الهواري" وتلمسان "مدينة سيدي بومدين ومدينة الجزائر مدينة سيدي عبد الرحمن،[134] وهي المدينة التي يتقاسم حمايتها الكثير من الأولياء كسيدي بوقدور والولي داوة وأبي التقى وسيدي يوسف الزنجي الذين دافعوا عنها ضد حملة شارلكان سنة 1541م.[135] ومدينة البليدة تسمى "مدينة سيدي أحمد الكبير" ومدينة القليعة "مدينة سيدي مبارك الأندلسي"...

كما يذكر ابن المفتي أن سكان الجزائر كانوا يعتقدون في بركة عائلة قدورة لأن وجودها وتوليها الإفتاء يحمي المدينة من الكوارث لذلك كانوا يقولون «إن المدينة ما لم يتول فيها مفتي ينتسب لذرية سعيد قدورة فإنه سينال المدينة وابل من البؤس كغلاء الأسعار، والزلزلة والصاعقة وأشياء أخرى»،[136] لذلك عندما نزلت صاعقة على المنارة فترة تولي المفتي المهدي بن الحاج صالح الإفتاء استغل رجل يدعى يوسف الكريتلو وقصد الداي أوزون علي باشا وقال له: «إن أهل المدينة يقولون لك أن المدينة لن تهنأ مع مفت ليس من أبناء سعيد قدورة»،[137] لذلك قام الداي بعزل المفتي ونصب عبد الرحمن المرتضى للمرة الثالثة وهو حفيد سعيد قدورة.

هذه الحماية أو "العناية" يمكن لأي كان الحصول عليها من المرابط من أجل حمايته من أي خطر يواجهه، وقد تمنح لفرد أو لقبيلة، فمثلا عندما يريد المرابط أن يمنح حمايته لشخص ما يرمي برنوسه عليه،[138] أو يتحصل على هذه العناية من خلال الزيارة والتبرك، فكان الحجاج قبل ذهابهم للحج يطفون على مرابطي المنطقة، ويقدمون الوعدة[139] ويؤدون زيارات للأضرحة للتبرك[140] قصد الحصول على بركتهم لتسهيل سفرهم وحمايتهم في الطريق، وحتى النساء كن يضعن الشموع والزهور ويقدمن القرابين للضريح بنية إبعاد المصائب والحماية من المخاطر.[141]

هذه الحماية تزداد بعد وفاة الأولياء، لأن تصبح بركتهم خالدة حسب المعتقد الشائع، فيعتقد أنهم قادرون على حماية أحبائهم والدفاع عنهم، وتزداد هذه العلاقة قوة بين الناس والأولياء، عن طريق ارتباطهم بالأضرحة والتبرع لأعمال الخير والاحتفال بذكرى مولدهم، وإطعام

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 150 -179
tavsanciksedri@hotmail.com

الناس في هذه المناسبة وقد يشمل هذا الاعتقاد كل الجماعات الصوفية وما ينطوي فيها من أغنياء وفقراء وعلماء وأميين ومثقفين.[142]

فعندما تعرضت الجزائر لحملة الدانمارك سنة 1186هـ/1770م صادف المولد النبوي، حيث أضيئت الشموع في كل مكان، فظن الدانماركيون أن الجزائر مستعدة للهجوم فرموها من بعيد بالمدفع حتى نفذت ذخيرتهم، وعادوا خائبين، وقد اعتقد الناس أن بركة الأولياء السبع هي التي حمت المدينة وقد جسد لنا الشعر الشعبي هذه الواقعة وكيف حمى الأولياء المدينة.[****]

د-الإتيان بالخوارق:

تعد مسألة القدرة على الإتيان بالخوارق، أي الأعمال الخارقة للطبيعة من الأمور التي صدقها الناس واعتقدوا أنها تعد من الولاية، خاصة بعدما لجأ الولي إلى إظهار هذه الخوارق وسردها كي يبهر الناس ويؤكد سلطته ويمرر خطابه وأهدافه دون مقاومة، فهذه الخوارق مررت لاعتقادات تخدم الأولياء وتؤكد حقهم في الاحترام والتبجيل لما وصلوا إليه من التصرف في الأكوان.[143]

فقد كان يعتقد أنه بإمكان الولي القيام برحلات، أو السفر بطرق خارقة غير الطرق المعروفة للسفر، كالمشي على الماء والطيران في الهواء وطي الأرض،[144] أو أنه يمكن للأولياء أن تجري معجزات على أيديهم كتحويل النحاس إلى فضة وذهب، والنقود المزيفة تحول إلى نقود حقيقية، وأن الزويجة تحرث بدون خمّاس إذا كانت في أرض الأولياء، وهذه الأعمال تكون للشيخ القطب ولأتباعه الذين يتلقون جزءاً من بركته وقوته الخارقة.[145]

ومن هذه الكرامات التي حظي بها الأولياء قدرتهم على إسقاط المطر وتحريض الأرض بالزلازل والزوابع، مثلما حدث في حملة شارلكان على مدينة الجزائر سنة 1541م، حيث عمل الولي دادة على إثارة البحر بعصاه فقضت الزوبعة على نصف الأسطول الاسباني الذي اضطر إلى الانسحاب،[146] وحسب الأسطورة أنه دخل وسط البحر حتى وصل الماء إلى حوضه وأخذ يضرب الماء بعصاه مع الذكر والدعاء، فثارت الزوبعة التي أبادت جزءاً من أسطول شارلكان[147] وكذلك المرابط سيدي بوقدور هو الآخر أثار زوبعة في البحر حطمت أسطول الحملة، حيث ضرب هو الآخر

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
tavsanciksedri@hotmail.com

البحر بعصاه فحدثت عاصفة، فكان كل ما كسر صحن فخار تغرق سفينة، لذلك اعتبر حامي المدينة ويتبرك بضريحه وإشعال الشموع عنده.[148] ومن كرامات الأولياء في صد الأخطار الخارجية، وحسب الأسطورة فإن الشيخ أحمد الزواوي الذي أرسل فرسه "الرقطاء" من دونه لصد حملة "أوريلي" على مدينة الجزائر سنة 1775م.[149] والسؤال هنا كيف لفرس أن تشارك في معركة دون فارس؟!.

ومن كرامات الأولياء في إتيان هذه الخوارق ما قام به المرابط سيدي علي بن موسى عندما ذبح أهل القرية بقرة ولم يأخذ طلبته نصيبهم فضرب الجلد فعاد بقرة كما كانت، وذبحوها، وهو سبب تسميته "بسيدي علي نفوناس"،[150] وهي نفس الكرامة التي كانت للشيخ يحي العيدلي ت (1476م)، والذي يعتقد الناس كثيرا في كراماته، منها أنه لما عاد من خلوته التي دامت 10 سنوات، وجد أن الوزيعة قد فاتته، لكن أمه لم تأخذ نصيبها منها ، ولما عاد أظهر له أهل القرية ندما على فعلتهم فأمر بجلدها ورأسها مما تبقى منها، فأمسك بذيلها وقال له قم بإذن الله فقام الثور يمشي كما كان حيا،[151] وهو نفسه الذي سمي عليه حمام معدني ببني عيدل بأقبو، وقربه توجد مغارة كانت خلوة للشيخ، وكان الطريق المؤدي إليها ضيقا ومنعرجا يؤدي إلى مكان متسع قليلا في الداخل، وله خاصية عجيبة فمن كان صالحا حسن النية دخلها وخرج منها سالما، أما من كان عكس ذلك، فإن جانبي الطريق يضيق عليه حسب الاعتقاد السائد، والحقيقة أن الممر متعرج فمن عرف الانسياب فيه لم يتأذ ولم يعرف صدمته المنعرجات.[152]

كما يذكر لنا "تريملي" (Trumelet) الكثير من كرامات لهؤلاء الأولياء مثل المرابط الحاج عيسى ولد 1079هـ/1668م قصد يوما الأغواط، وطلب الضيافة من منزلين فلم يفتحوا له الباب وشتموه فبات في العراء قرب عين ماء يستسقي منها الناس، وهو يدعو، ولما جاءت النسوة للعين وضع عصاه فيها فجفت، وحرّم سكان القصر الأبيض والأحمر من الماء،[153] أما المرابط سيدي عيسى الذي ولاّه أحمد أمقران على المناطق الجنوبية للقلعة ناحية الصحراء لكنه ثار عليه، وحاول الانفراد بالمنطقة فعزله أحمد أمقران ووضعه في حبس وأمر بإطلاق النار عليه، لكن لم يصب المرابط واعتبرت هذه من كراماته، لذلك قال أحمد أمقران «المرابطون أشواك ونحن جمال وسيلسعوننا (يؤذوننا) إن أسأنا لهم».[154] كما يذكر في موضع آخر أن سيدي الشيخ (من حكام

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 150 -179
tavsanciksedri@hotmail.com

الصحراء) مر يوما ببني ددوش شرق ندرومة بتلمسان، لما طلب ماء من السكان فقيل لا يوجد بسبب الجفاف، فترك بغلته تسير حتى وصلت قمة الجبل وضربت بحافرها، فانفجرت عين غزيرة لا زالت إلى يومنا بجبال الترارة.[155]

أما "ابن عسكر" فيذكر أن الشيخ محمد الزيتوني بالغرب الجزائري، عندما يكون مع ركب الحج، لا يستطيع اللصوص الاقتراب بالقافلة لأنهم يجدون سورا عليها لا يقدر احد على صعوده،[156] أما مدرس القرآن سيدي أحمد الزواوي (الغراب) وعندما كان فارا من صالح باي اعترضه وأتباعه ثعبان كبير فنزل من جواده وسحقه برجله،[157] ولعل لنا في قصة سيدي محمد بن عبد الرحمن أكبر دليل على الاعتقاد الكبير في كرامات المرابطين الذي يعتقد أن جسده انقسم إلى اثنين واحد في منطقة القبائل والآخر في الحامة بعد وفاته،[158] والحقيقة أن السلطة العثمانية لما رأت ازدياد عدد أتباعه بعد وفاته، وخشية منه نقلت جثته إلى الحامة ووضعت جثة أخرى في منطقة القبائل، ولما سمع أهل المنطقة، ونظرا لأنهم وجدوا جثة بالقبر، فاعتبروا هذا كرامة ومعجزة خاصة بالمرابط أن يكون له قبران لذا سمي بوقبرين.

ما يمكن أن نقوله هو أن أقطاب السلطة الروحية حظيوا بمكانة كبيرة في المجتمع لأنهم في عرف الناس هم رجال الدين الصالحين المتعبدين المتفرغين لعبادة الله، المالكون للكرامات والبركة، لذلك أقيمت عليهم الأضرحة بعد وفاتهم، والتي صارت مزارات يقصدها الكثير من الناس ومن مختلف الطبقات الاجتماعية، وهو ما جعل دوتي يقول أنه خلال السفر من مدينة الجزائر إلى وهران نرى تزايد عدد مزارات الأولياء باستمرار كما أن تلمسان وضواحيها كانت مزينة كلها بمقابر للأولياء كل 50 مترا.[159]

كما وأن بعض الأضرحة والمزارات كانت مفتعلة ولا وجود للدفين فيها ،لأن من افتعلها يكون قصده جمع المال من تبرعات الناس،[160] وقد تكون لشخص مجهول الاسم ولا يعرفون عنه شيئا ويطلق عليه باسم "سيدي المخفي" وهي ظاهرة كانت منتشرة بكثرة شمال إفريقيا،[161] ومنهم من جهل اسمه وسمي سيدي بوزيتونة لأنه نبتت عند قبره شجرة زيتون.[162]

وقد بلغ ببعض المستغلين لهذه المعتقدات التي لم تكن صحيحة ولا أساس لها منطقيا، أن قام صديقان بقتل جحش وبدأ الترويج لكراماته، وأنه ولي صالح مستغلين الإيمان الأعمى بالأولياء،

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
ص . ص 150 -179
tavsanciksedri@hotmail.com

فتوافد الناس عليه للزيارة والتبرك به،[163] وحسب "دوتي" دائما فإن هذا الاعتقاد كان حتى في الحجر والأشجار أنها صالحة أو مرابطية ويعتقد في نفعها أو ضررها، كما أنهم اعتقدوا في الحيوانات مثل أسود زاوية سيدي محمد بن عودة أنهم مرابطين وحتى الطيور يعتقد في صلاحهم ونفعهم وضرهم.[164]

فهذا التفكير السطحي والساذج لدى الناس لاعتقادهم في المرابطين والأولياء وأنهم يعلمون الغيب وأن الله يحارب من يحاربهم، أدى إلى ازدياد نفوذهم وسلطتهم مما جعل الكثير من الدجالين يستغلون الوضع، وادعوا الولاية وتظاهروا بالزهد، فكثرت الزوايا والأضرحة والمرابطين وانتشرت الخرافات[165] وأصبحت زيارة هؤلاء الأولياء مشهدا يوميا مألوفا لمختلف الفئات والمناطق ترعاه السلطة متى استطاعت ورغبت.[166]

والملاحظ أن بعض هذه المعتقدات لا زالت سارية إلى يومنا هذا في بعض الأوساط الشعبية، حتى في أوساط المتعلمين والمثقفين، وهي ظاهرة اجتماعية تعكس الذهنيات المتخلفة

وبهذا فالمعتقدات الشعبية في بركة الولي(المرابط) وكراماته، منحت له سلطة على غيره، وكانت حجة لتزكية ولايته وصلاحه من خلال أثرها الايجابي على الناس، بسبب حاجة الناس لتجاوز أزماتهم ،أو ظروفهم الاجتماعية، وبهذا مثلت البركة والكرامة انعكاسا حقيقيا لأوضاع المجتمع المعبر عنها في أفعال خارقة أصبحت جزءا من ثقافة المجتمع نتيجة تواتر اعتقادي في قدرات الولي والمرابط.

الاحالات و الهوامش :

1 - محمد أركون، الفكر العربي، ط2، تر. عادل العوّا، د.م.ج، الجزائر، 1982م، ص 126.

2 - نفسه، ص 126.

3 - منال عبد المنعم السيد جاد الله، التصوف في مصر والمغرب، منشأ المعارف، الإسكندرية، مصر،د.ت، ، ص 147.

4 - Saidouni, Nacereddine : L'algérois rural à la fin de l'époque ottomane de (1791-1830), Dar al-Gharb al-Islami, Beyrouth, Liban ,2001, p294.

5 - عثمان بن حمدان خوجة، المرآة المرآة، لمحة تاريخية واحصائية لإيالة الجزائر، تح. و تع. محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1975م، ص 58.

6 - Saidouni, Op, cit, p298.

7 - Bel, la religion musulmane en barbarie de XII au XX siècle, librairie To1, orientale, Paris, 1938, p399.

8 - Saidouni, Op, cit, p298.

9 - خالد زيادة، الكاتب والسلطان من الفقيه إلى المثقف، ط1، الدار المصرية اللسانية، القاهرة، مصر، 2013م، ص 90.

10 - نفسه، ص 92.

11 - الورثيلاني الحسين، نزهة الأنظار في فصل علم التاريخ والاخبار،مطبعة بيار فونتانا ، الجزائر ،1908، ص 113.

12 - نللي سلامة العامري ، الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لافريقية في العهد الحفصي،ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2001، ص 305.

13 - صالح عبد المحسن، الإنسان الحائر بين العلم والخرافة، مطابع الرسالة، الكويت، 1971م، ص 77.

14 - نورة عقاق، بنية النص في جامع كرامات الأولياء، ماجستير قسم اللغة والأدب العربي، تيزي وزو، الجزائر، 2011م، ص 117.

15 - نفسه، ص 132.

16 - ساجية بن تونس مخلوف ، المواجهة الاجتماعية بين المرابطين والقبائل في منطقة القبائل، تحليل نفسي – اجتماعي للعلاقات بين الفئتين، ماجستير علم النفس الاجتماعي، جامعة الجزائر، 1998م ، ص 95.

17 - دوتي إدموند، الصلحاء،تر، محمد ناجي بن عمر،أفريقيا الشرق ، المغرب ،2014 ص 25، 26.

18 - منظور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، ، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت ، ج10، ص 395.

19 - محمد بن مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره،تح. تع. أبي عبد الرحمن محمود طه، دار الرّاية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية،2001م، ص 149.

20 - Depont (O), Coppolani (X) : Les confréries religieuses musulmanes, A.Jourdan, Alger, 1897, p84.

21 – منال عبد المنعم السيد جاد الله، التصوف في مصر والمغرب، منشأ المعارف، الإسكندرية، مصر ، ص 146.

22 – بن تونس، المرجع السابق، ص 93.

23 – منال عبد المنعم السيد جاد الله، المرجع السابق، ص 146.

24 - G.Andre (p.j) : Contribution à l'étude des Confreries religieuses musulmanes,maison du livres ,Alger,1956, p40.

25 – منال عبد المنعم السيد جاد الله، المرجع السابق، ص 146.

26 – نفسه، ص 36.

27 – محمد أركون، الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد،تر. وتع.هاشم صالح، م.و.ك، د.ت الجزائر، ، ص 155.

28 – نورة عقاق، بنية النص في جامع كرامات الأولياء، ماجستير قسم اللغة والأدب العربي، تيزي وزو، الجزائر، 2011م، ص116.

29 – الصباغ محمد بن علي ،بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي احمد بن ىوسف الراشدي النسب والدار، مخطوط رقم 1707، قسم المخطوطات، مكتبة الحامة ،الجزائر ، ورقة 32 (1).

30 – فلة موساوي القشاعي الصحة والسكان في الجزائر من العهد العثماني إلى أوائل الاحتلال الفرنسي 1515-1870 .م(، دكتوراه دولة،)، جامعة الجزائر، 2004 ،ص 203.

31 – بن تونس، المرجع السابق، ص 81.

32 – التمغروطي، علي بن محمد الجازولي، النفحة المسكية في السفارة التركية 1589، تقديم سليمان الصيد، دار بوسلامة، تونس، 1988م ، ص 90.

33 – محمد بن عبد الوهاب المكناسي، رحلة المكناسي، تح. محمد بوكبوط، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، بيروت، لبنان، 2003م، ص 330 و331.

34 – محمد العبدري البلنسي،الرحلة المغربية،تق.سعيد بوفلاقة،منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007، ص212.

35 – نفسه، ص 149.

36 – س.م.ش، علبة 132، 133، وثيقة 05.

37 – منال عبد المنعم جاد الله، المرجع السابق، ص 152.

38 – بودريعة، أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك، ماجستير، جامعة الجزائر، 2007، ص 88.

39 – الصباغ، المصدر السابق، ص19، 20.– محمد حاج صادق، مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، د.م.ج، بن عكنون، الجزائر، 1964، ص 94.

40 – الصباغ، نفسه، ص 32 (1).

41 – دوتي، المرجع السابق، ص 85.

42 – القشاعي، الصحة والسكان، ص 203.

43 – هاينريش فون مالتسان ،ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا ترجمة ابو العيد دودو،ش.و.ن.ت ،الجزائر ، 1973، ص 42.

44 – بودريعة، أوقاف الأضرحة...، ص 93.

45 - Devoulx(A), Les édifices religieux de l'ancien Alger, bastide, Alger, 1870 ,p163.

46 – ابن المفتي حسين بن رجب، تقييدات بن المفتي، تح. فارس كعوان، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، 2009م ، ص 58.

47 – نفسه، ص 60.

48 – نفسه، ص 96.

49 – القشاعي، الصحة والسكان، ص 202.

50 - Saidouni, Op, cit, p296.

51 – نللي سلامة العامري، المرجع السابق، ص 293.

52 – حمدان، المرآة، ص 57.

53 - Daumas€, Daumas : Mœurs et Coutumes de l'Algérie,Intrd. De Abd-delkader djeghloul ,Ed. ENEP ; Alger,2006, p212.

54 – الصباغ، المصدر السابق، ص 11(2).

55 – محمد أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار مخطوط رقم مخطوط رقم 1632، قسم المخطوطات، مكتبة الحامة، الجزائر ص81.

– محمد بن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر لمن كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، ط2، 1977، مطبوعات دار المغرب، الرباط، المغرب، ص135. –الإفراني محمد الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، مطبعة إنجي، د.ب، 1888م، ص17، 18.

56 – سعد الله أبو القاسم، على خطى المسلمين، حراك في التناقض، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص199.

57 - Saidouni, Op, cit, p360.

58 – حمدان، المرآة، ص 58.

59 – بن تونس، المرجع السابق....، ص 97.

60 - Dermenghem € : le culte des saints dans l'islam maghrebin, Gallimard, Paris, 1984p125.

61 - Saidouni, Op, cit, p326.

62 - G. André (P.J), Op, cit, p193.

63 – نللي سلامة العامري، المرجع السابق، ص 343، 340.

*) لأن والده أنكره ورماه في الغابة للحيوانات الضارية بسبب أنه ولد "أعرجا".

-Joly (A), "Saints de L'islam", in R.A, N52, 1908, p179.

64 - Ibid, p179.

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
tavsanciksedri@hotmail.com

65 - Aboubekr abdesselam ben choaib : "les marabouts guérisseurs " in R.A N51, 1907, pp250, 252.
66 - Dermenghem, Le culte…, pp121, 123.

67 - القشاعي، الصحة والسكان، ص 204 وما بعدها.

68 - بودريعة، أوقاف الأضرحة...، ص85.

69 - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان2008م، ج1، ص270.
– Haedo(F.D), Topographie et l'histoire general d'Alger, Imprimé À Valladolid EN 1612, Trad. De l'espagnol par: MM. Le Dr. Monnereau et A. Berbrugger, 1870,p105 (marge).

70 - القشاعي، الصحة والسكان، ص 208.

71 - Ben choaib, Op, cit, pp252, 253.
72 - Ibid, p255.
73 - Dermenghem, le culte…p125.
74 - Haedo, topographie.., p135.

****) وهي عادة جلبها عبيد السودان الذين كانوا يخشون جن سبع العيون الكبير المعروف ببابا موسى أو باهان.**
Saidouni, op.cit, p325.

75 - Trumelet, l'algérie légendaire, A. Jourdan, Alger, 1892, p360.

– دوتي، المرجع السابق، ص 111.

76 - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ط2، تر. محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ج2، ص 59.

77 - حسن الشرقاوي، معجم الفاظ الصوفية، ط1، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1978م ، ص 240.

– عبد الوهاب محمد حلمي، ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، تقديم رضوان السيد، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2001م.، ص 102، 103.

78 - الرازي محمد بن أبي بكر شمس الدين، حدائق الحقائق، تح. وتقديم، سعيد عبد الفتاح، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2002م، ص 256.

79 - علي زيغور، العقلية الصوفية ونفسانية التصوف، ط1، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1979م، ص190، 193.

80 - تقي الدين أحمد بن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان، تح. عبد الرحمن عبد الكريم اليحي، دار الفضالة، الرياض، السعودية، د.ت، ص 292.

81 - يحي بن معاذ الرزاي، جواهر التصوف، شرح وتعليق، سعيد هارون عاشور، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2002م، ص 52.

82 - سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ط1، دندرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1981م ، ص 962، 964.

83 - ابن تيمية تقي الدين أحمد، الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان، تح. عبد الرحمن عبد الكريم اليحي، دار الفضالة، الرياض، السعودية، د.ت.ص168.

84 - تقي الدين أحمد بن تيمية، - مجموعة فتاوي، جمع عبد الرحمن بن محمد قاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1415ه، ج11، ص 312، 311.

85 - ماسينون ومصطفى عبد الرزاق، ، التصوف، تر. إبراهيم خورشيد وآخرون، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1984م، ص87.

- سعاد الحكيم، المرجع السابق، ص968.

86 - ماسينون ومصطفى عبد الرزاق، نفسه، ص 86.

87 - يوسف بن إسماعيل النبهاني ، جامع كرامات الأولياء، تح. إبراهيم عطوة عوض، ط1، مركز هلنسة، بركات رضاك معجزات الهند، ج1، 2001م، ص 66.

88 - محمد دحماني، حكايات كرامات الأولياء بمنطقة الشلف، ماجستير في الآداب، جامعة بن خدة الجزائر، 2006م، ص 10.

89 - أبو القاسم القشيري،الرسالة القشيرية، تح. عبد الحليم محمد، محمود بن الشريف، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1989م ، ص 437. –ماسينيون ومصطفى عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 86.

90 - نورة عقاق، المرجع السابق، ص 131.

91 - حليم بركات، لمجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي اجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1998م، ص 268.

92 - نورة عقاق، المرجع السابق، ص 108.

93 - نفسه، ص 132.

94 - ابن عسكر، المصدر السابق، ص 125.- أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف مطبعة بيير فونتانا الشرقية، 1906الجزائر، ج2،ص 99.

95 - محمد أبو راس لناصري ، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح. محمد بن عبد الكريم، م.و.ك، الجزائر، 1986م، ص 47.

96 - نورة عقاق، نفس المرجع، ص 131.

97 - سعاد الحكيم، المرجع السابق، ص 264، 265.

98 - نورة عقاق، المرجع السابق، ص 64 و106.

99 - الصباغ، المصدر السابق، ص 05(1). –المزاري بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا أواخر القرن 19م، تح. ودراسة يحي بوعزيز، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م. ، ج1، ص 75.

100 - محمد حاج صادق، المرجع السابق، ص 89.

101 - ابن مريم التلمساني محمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر 1908، ص 135.

- عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2007م، ص 196.

102 - Les saints de l'islam les saints de tell,,Didier,Paris,1881,p367.

دوتي، المرجع السابق، ص 31. -

103 - فيرو شارل، تاريخ جيجلي، تر. عبد الحميد سرحان، الوسم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م ، ص 166.

104 - دوتي، المرجع السابق، ص 31.

105 - نللي سلامة ، المرجع السابق، ص 389.

106 - بن تونس، المرجع السابق، ص 100.

107 - Ali Merad, La réforme musulmane en Algérie 1925-1940, essai d'histoire religieuse et sociale, ed; La Haye, Mouton & Co., France, 1967, p70.

108 - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 487.

109 - عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح. وتع. أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م، ص120.

110 - دوتي، المرجع السابق، ص 132.

111 - محمد سي يوسف، القانون القانون في بلاد القبائل خلال العهد العثماني"، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع17- 18، 1998م ،ص 286.

– Patorni (F) " De libération de l'année 1749 dans la grande kabylie ", in R.A, N39, 1895, p316.

112 - دلندا الأرقش وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، ميدياكوم، تونس، 2003، ص 239. – جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500- 1830م، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1987، ص 181.

113 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 132. –دوتي، المرجع السابق، ص 134.

114 - Trumelet, l'Algérie légendaire…, pp224, 225. –دوتي، نفس المرجع، ص 135.

* **) رغم أن المدينة لم تحتل إلا بعد 70 عاما من وفاته.

115 – المزاري، المصدر السابق، ص 73، 74. – الزياني محمد بن يوسف، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران تح. و تقديم . المهدي البوعبدلي، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979، ص 61.

116 – يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995م،، ج2، ص 214.

117 – هانوتو/لوتورنو، القبائل والأعراف القبائلية، .تر. مخلوف عبد الحميد، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر، 2013م، ج2،ص 91.

118 - Klein (H), Feuillets d'Eldjezair, Fountana, Alger, 1937,p39.

119 – الصباغ، المصدر السابق، ورقة 06(1).

120 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 289.

121 - Ferand (ch): le sahara de constantine notes et souvenirs, adolphe jourdon, Alger, 1897.p224.

122 – فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة عهد صالح باي، ميديا بلوس، الجزائر، 2008م، ص 196.

- Filali(K) :sainteté maraboutique et mysticisme Et Mysticisme ,Contribution A L'etude du mouvement Maraboutique en Algèrie sous La Domination Turque ,in Insanyyat, N°3,1997p157.

123 – المزاري، المصدر السابق، ص 287، 288.

124 – نللي سلامة، المرجع السابق، ص 389.

125 – أحمد بن قاسم البوني، الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تح.سعد بوفلاقة،منشورات بونة لبحوث والدراسات، بونة، الجزائر ،2007، ص 142.

126 – سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 469.

127 – دوتي، المرجع السابق، ص 31.

128 - Filali, Saintité…., p 130.

129 – جوليان، افريقيا الشمالية تسير،القوميات الاسلامية والسيادة الفرنسية، تر. سليم المنجي وآخرون الدار التونسية للنشر،1976 ص 26.

130 - Boulifa (S.A) : Le djurdjura à travers l'histoire depuis l'antiquité jusqu'à 1830, J.Bringou, Alger, 1925, pp193, 194.

131 -Dermenghem (E), Vie des saints musulmans, ed, Bacconies, Alger, 1942, p07.

132 – منال عبد المنعم، المرجع السابق، ص 151، 152.

133 – فيرو، المرجع السابق، ص 166.

134 – عبد الرزاق قسوم ، عبد الرحمن الثعالبي والتصوف، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1978م،، ص 26.

135 - Devoulx, Les édifices…., p240.

136 – ابن المفتي، المصدر السابق، ص 107.

137 - نفسه، ص 108.

138 - Layer(E) : Confreries religieuses musulmanes et marabouts leur etat et leur influence en Algérie Imp. Cagniard1916. p23.

139 - Feraud: (C.H), Histoire des villes de la province de Constantine, Bougie, Arnault, Paris, 1869, p16.

140 - Alain (M): Histoire de la grande Kabylie XIXéme- XXéme siècle, anthropologie, historique du lien social dans les communautés villagoises, Ed. Bouchene, Alger, 2001, p110.

141 – سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتع، عبد القادر زبادية، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980م ، ص 105.

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
tavsanciksedri@hotmail.com

142 - منال عبد المنعم، المرجع السابق، ص 159.

****) جاء في القصيدة:

بسم الله نبدا على ... وفا ذا القصبة تعيانا
قصة البونبة المتلفة ... كيف جابوها أعدانا
كل ولي يرمي بمدفع ... ما يخطى من قابلوا مطن
أولهم سيدي الثعالبي ... هو السيف وصور حرمها
بحر العلم خليفة النبي ... صاحب الأسرار وليها
صاحب الأسرار والييها ... حاشا الله أن ينسانا
سيدي بوجمعة مساعفه ... شيخه ما ينبغي يكلّفه
ابن عبد الله صيد نعرفه ... جاب في يدو زانة
من ضرب بها يتلف ... ما يظهر للآن
سيدي الكتاني ... نحقّق دائما مدفع ما لحقه
والرجال السبعة اتفقوا ... جاوا في غيظ اشحان
سيدي السعدي ما يفارقوا ... سيف لأهل الجُوان
سيدي الفاسي ما يهونها ... والجودي بحماه سالمة
ولي داده صيد فدّها ... واسا للكفار معظمة
هاج البحر كسر سفونهم ... وابقات غير الواح عايمة
عبد القادر حرمها الكفا ... هو الّي يرعاها

- Fagnan (E), Un chant Algérien du XVII siecle, in, R.A N°38, 1894, pp326, 344.

143 - نورة عقاق، المرجع السابق، ص 114، 119.

144 - نفس المرجع، ص 84.

145 - محمد حاج صادق، المرجع السابق، ص 92، 93.

146 - Dermenghem (E), Le culte…, p11. -Venture(D.P), Alger au XVIIIE siècle (1788-1790),E. Fagnan,1898, p160.

147 - Devoulx, Les édifices…., p171.

148 – شوفاليه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510- 1541م، تر. جمال حمادنة، د.م.ج، الجزائر،2007م ، ص 99.

149 - Vayssettes: Histoire de Constantine sous la domination Turque de 1517 à 1837 présentation de Ouarda Siari Tengour, Ed Bouchene, Alger, 2002.p128

–سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1،ص 220،219.

150- Delpech: la Zaouia de Sidi Ali Ben Mousa ou Ali N' Founas",in R.A, N°18,1874,p82.

151 – الورثيلاني، المصدر السابق، ص 10. - علي أمقران السحنوني، "المجهول أبو زكريا العيدلي"، مجلة الدراسات التاريخية، ع4، 1988م،الجزائر ص 38.

152 – علي أمقران السحنوني، المرجع السابق، ص 31.

153 - Trumelet, l'Algérie légendaire…, p114.

154 - Trumelet, l'Algérie légendaire…, pp290,291. . Feraud (CH): Histoire des villes de la province de Constantine, Setif, Bordj-Bouariridj, Mesila et Boussaâda, L. Arnault, Constantine, 1872,p231.

155 - Trumelet, Ibid, pp163, 164.

156 – ابن عسكر، المصدر السابق، ص 72.

157 - GAID (M.), Chronique des Beys de Constantine, O. P.U, Alger, S.D.p41 (Marge).

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
tavsanciksedri@hotmail.com

158 -Boyer (P) :" Contribution à l'étude politique religieuse des turcs dans la régence d'Alger" in : R.O.M.M, N°01, 1966.p40. - Rinn Louis: Marabouts et Khouans, etude sur l'islam en Algérie, Adolphe Jourdan, Alger, 1884. p456.
–DE Neveu :les khouans ordre religieux chez les musulmans de l'algerie 2éme Ed,Imp.A.Guiyot ;Paris 1846 ,, pp90, 91.

159 - دوتي، المرجع السابق، ص 22.

160 - أحمد مريوش وآخرون، ، الحياة الثقافية في الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م ، ص 172.

161 - Trumelet, Les saints de l'islam…., p159. دوتي، المرجع السابق، ص 76.

162 - نفسه، ص 77.

163 - نبيلة إبراهيم، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، دار قباء، مصر، 1992، ص 82، 83.

164 - دوتي، المرجع السابق، ص 53، 54.

165 - الفيلالي مختار الطاهر، نشأة المرابطون والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، ط1، دار الغرافيكس، الجزائر، 1976م، ص 24.

166 - حمدان، المرآة، ص 59.